ليانة بدر

النهار

قصة

كان سقف الغرفة يتقوس فوقنا مثل احدى نبتات الفُطْر، ومقاطع من ظل وضوء تتناوب عليه، فتحيله مبرقشا بالاصفر والبني مثلها. نبتة فطر وقبعة منبعجة على رأس الغرفة، والبومة ذات العينين الواسعتين تُحَدق بي عفوا، إنه الصباح، اوشك ان أقول لها، وأعرف سلفا انها لن تجيبني. أنها لا تحسن الحديث، وانما تظل محدقة بي بتلك الايماءة المتهكمة، البريئة مثل طفل يناكفك في كل لحظة، ولكنها طفل، لعبة اطفال مصنوعة من الفرو جلبتها يوما لنفسي. لم أخجل حين طلبتها من البائعة وقلت لمرافقتي انها لي. كان بعينيها الخضراوين المستديرتين شبه بعيني مرافقتي. فتاة جميلة وعاشقة تلحق حبيبها الى أقصى حدود الكون. تظل سعيدة والضحك يملأ ثغرها، والزُّمُرُّدُ يتساقط من طرفي عينيها لانها سوف تذهب لحبيبها في اللحظة التالية. أُحَدِّثها عن كل شيء، وأخجل أن أخبرها عن الحب. انها تعرفه الآن اكثر مني ولربما يَلْزَمُ الامر سنوات طويلة حتى تكتشف انها ستلحقه الى ان يهرب منها. يفر ويرفرف بجناحيه مغرداً الى أقصى حدود الكون. وحين ستصل الى الشجرة التي يقف عليها، تكتشف أنه فقد صوته، أو أنه أعطاه لبشر آخرين.

ولكني أطلب اللعبة، ولا أخجل. بومة ذات فَرْوٍ أبيض حليبي، وغُرَّة بنية تمتد ما بين الجبين ومَفْرَق الانف، وقبل ذلك، منذ سنوات طويلة لم أعد أذكرها، وقفت أمام نفس البائعة، وكنت معه أؤشر بأصابع يدي وأمدها صوب دمية أخرى. لا، تلك كانت بنتا شقراء بعينين براقتين مثل الممثلة التي لعبت دور «آنا كرنينا». «آنا» التي قتلت نفسها في نهاية الصفحة الاخيرة، لأن الناس ما عادوا يحتملون توقها المستحيل الى حب جعل من قصتها العادية رواية طويلة. ولكني أقول له، يا مجنون، أنا لست «آنا كارنينا». سأحبك وأحبك وأبقى معك الى الأبد.

ونركُض في الشوارع بخفة وجنون، قادفين بأنفسنا الى سيارة الجيب التي تحمل الطلبة المتطوعين الى المعسكر. ننام على حجارة مسنونة كحد السكاكين الى أن توقظنا نجمة الصباح وصفارة المدرب. نحمل البطانيات السوداء ونخرج بها من الخيام كي ننام في العراء، خوفا من غارات الطيران التي تداهم الفجر وأجساد النيام الغافلة. في الصباح، نَحُبّ وَنركُضُ في طابور الهرولة غير مبالين بلزوجة العرق الحار الذي يتهاطل على الثياب، فيبللها، ويلصقها بأجسادنا. والنهار يضيء. الشمس تدخل في عيوننا المتقلصة من وَهْج اشعاعاتها فلا تجد فيها

سوى ومضة الترقب لثناء المدرب على اجادة القفز، وانحناء السيقان في تمرين «الرقصة الروسية». والنهار يلتمع. النهار يسيل على أطراف اصابعنا الممسكة باكواب الشاي التَّنكيّة، ذات المقابض المنحنية على استدارة المعدن، وكأنها أياد أخرى ألصقت بها عنوة ودون استئذان منا، ونحن صغار، اكواب التنك تلك كانت تشبهها. ويغور في حلقي طعم الحليب الزَّنخ الذي كنا مجبرين على ابتلاعه في مدارس الوكالة.

والنهار لا يبدأ في الحديث، والقاء تحيات الصباح الا مع نكهة الشاي الغامق ذي اللون الخروبي، تعلق حلاوته كالدِّبْس في أفواهنا، ولكن الطريق الى مخيم البقعة ليست مجرد خمس كيلومترات اعتيادية كما يخبرنا المدرب. الطريق الى المخيم غبار أحمر يلتصق بالشفاه والايدي. يرسم وجوها رملية أخرى فوق وجوهنا المحتقنة بالحر، والقيظ الذي يُفَلِّع الجلد، ويُحرق البَشَرَة. الطريق لم تكن إلا التعب الذي يفكك مفاصلنا، ويحولها الى مايُشبه قطع الرمال الملتصقة برموش الاعين، وأطراف الشوارب، وخُصَل شعور الفتيات المتدلية من تحت القبعات العسكرية. نلمح البراكية الاولى في المخيم، فتنتصب قاماتنا، وينتظم الطابور وكأن التعب لم يكن سوى مجرد ممازحة سخيفة. ونعبر الى الساحة الرئيسية حاملين المعاول والرفوش لنحفر خنادق مستطيلة، لا تلبث أن تمتلىء بالتراب والرمال في صبيحة اليوم التالي. وهو، كان يختفي آنذاك ولا أعود ألمحه الا اذا درت مفتشة عنه لا قترض سيجارة أو سيجارتين «لولو». أنساه، ثم أذكر وجوده عندما نعود في نهاية النهار الى المعسكر، والى رائحة زيت السردين التي لا نفلح في القفز عنها ونحن نتمرن على السقطات «الجانبية» و «الهوائية». أعثر عليه في المساء بين الاحاديث الموزعة على مداخل صخور المعسكر، وبين رائحة عرق الاجساد الفائحة بالاجهاد والنعاس، وفي هبوب نسيم المغرب المشبع برائحة الكاز المنبعثة من أقمشة تنظيف الاسلحة.

نخرج من المعسكر، ونركض في الشوارع بحماس وخفة كمن يلعب لعبة الغميضة، وهو يعرف انه سيلتقي بحبيبته تحت جلده.

كان ذلك من زمان، أنا وهو.

نفرد البطانية الرثة التي بلون الفحم ونستلقي عليها. الجدران حولنا بيضاء، والغرفة فارغة، وعلى الصندوق الخشبي الذي يستعمل كمنضدة، باقة من اللاوندة، ترش رائحتها الطازجة وكأنها قد جلبت توا من حديقة بيتنا في أريحا. نتكلم، ونتكلم كثيرا. أولا بصوت حنون، ثم بصوت خافت، ثم بصوت مبحوح تقطعه أنفاسنا اللاهثة بين خشخشة تَماسّ جسدينا، وشَقّات السجائر التي تعطي طعم قبلاتنا. أقول له : لن أعمل في التنظيم الطلابي مرة أخرى. انهم يتحدثون عني وأنا لا أحتمل أحاديثهم. أخاف من همساتهم، وأودّ لو أختبيء في زاوية، كي لا أرى الحروف وهي تنسل بالسر بين أفواههم وآذانهم.

يضحك مني قائلا : أنت بلهاء، أحاديثهم ليست مهمة. المهم هو عملك. لازلت طفلة صغيرة تشعر بالذنب اذا سطت على ألعاب الكبار. ألعاب الكبار؟ يمُطّ شفتيه ثم يقلبها هازئا. يقوم حافيا الى خزانة في البهو ويحضر منها كأسين كريستال موشاتين بنقوش حمراء صغيرة مثل حبات الكَرَز. يحمل واحدة ويضربها بالارض فتنكسر الى شظايا وقطع مستدقة حادة مثل أطراف السكاكين. هذه من عرس أبي وأمي. خذي، الثانية لك. اكسريها.

كسر. قطع. ويحضر ناس لا تعرفهم بين الفينة والاخرى. يدقون جرس البيت فيغلق باب الغرفة ويذهب اليهم. تتسلل اليها حبات من أحاديثهم. العمل، والغد، والصباح الباكر. حبات... حبات لونها كهرماني كأنها جلبت من الحجاز مع قافلة من الزغاريد، والتمر، وسُبُحات الخَرَز الملونة. يذهبون، ويرجع اليها قائلا : لن أحبك اذا جعلْتِني حبة من المسبحة التي تحملينها بين يديك ثم تَفْرُطينها متى "شائين" لا تعرف أن تجيبه، ماذا تقول له ؟. لكن ذلك كان قبل أن تعرفه، حتما قبل ان تعرفه. جميعهم كانوا يتشدقون بألفاظ كبيرة حول حرية المرأة، فاذا ما استرخت بين أيديهم، امتدت الكلمات انشوطة حول عنقها في حلقة تصغر، وتصغر الى أن تخنُقها الاشاعات وحكايا الاصدقاء، ونحن لم نصبح بعد في المجتمع الجديد. ثم فتاة غير رصينة، وفي مثل هذا السن ! شيء غير معقول. الحرية للكبار وحدهم، وهذه ماذا تفهم من الحياة ؟؟

أحكي له، أقول : في المرة الاخيرة تخانقتُ مع صديقي، ورفضت أن أقابله. كنا نفترق، ونكف عن التلاقي، ثم أعاود الاتصال به وشيء كالندم أو الحنان يقرِض ضميري. تلك المرة، رفضت. حضر الى منزل الناس الذين أقيمُ عندهم وهددني بصوته العالي وكأنه كان يريدهم أن يسمعوه. كان ذلك يشبه الفضيحة حتما. ارتديت تنورة الجينز ذات اللون الفيروزي، والقميص الملون بورود استوائية. نذهب الى القهوة ؟ لا. السينما. محل الكُنافة لا أيضا. ذهبت معه الى بيته وكان خاليا، الا ان جنباته كانت تفور بروائح التربنتين، والالوان الزيتية المختلطة بالعطن المنبعث من مَجْلى المطبخ. كان يردد دوما بأنه سيرسمني، لكنه لم يرسم الا وجوه أقاربه. وقفت أمام المجلى الرخامي المبقع بلطخات سود، وبحثت في الرفوف فوقه طويلا عن كأس دون أن أجدها. في النهاية وجدت الكأس أعلى رف في الناحية اليمنى، فارتددت الى الخلف متجهة الى الغرفة الاخرى. هناك، رأيتها. كانت على القميص قرب الازرار التي تنفتح على الصدر. كتلة هُلامية سوداء يميل لونها الى الطحيني عند بطنها المتشبث بنسيج القميص. أصرخ وأصرخ ولا أعرف اسمها. هي التي ترقد على أعشاب قنوات مياه البيارات في أريحا، وعلى أوراق الميرمية التي نجمعها لتغليتها مع الشاي، على الطين، وعلى الاسيجة، وبين.. ولكني الآن، لا أعرف اسمها. نسيته وهي تقترب من فتحة القميص، تلتصق بقوة قدرية وتبحث عن طريقها بعزم بطيء نحو جسدي. أصرخ وانسى اسمها، وهو يهجم عليها لاطما

صدري بقطعة مربعة من الكرتون الآن، أتذكره، وهي تسقط مرخية على الارض قرب قدمي. البزاقة. انه هو. هذا هو اسمها.

وهو ! والصمت. يصمت هذا الذي جرؤت على أن أناديه حبيبي. تنسكب في عينيه الزيتيتين ظلال داكنة تركض مثل السحاب الدخاني، في ظهيرة يوم قائظ. ترتفع ملامح الاشمئزاز الى جبينه وكأنه يطالبني بأن أسكت. أن أتراجع عن الحديث عائدة مرة أخرى الى الورود الاستوائية على أرضية القميص الفيروزية. آه. أصمت، ثم أقول : كان ذلك لان الرجل كان فنانا، وكان ينتقي لي الثياب لانه سيرسمني. ويرسم الفدائيين بثيابهم الكاكية المموهة. ولكنه سافر الى امريكا فيما بعد دون أن يرسمهم أو يرسمني، ضحكة. ضحكت العينان والتمعتا كأن ستارا مائيا شفافا يترقرق فوقهما، ولكن تعبير القرف ما زال يندّل به وجهُه مطالبا إياي بالامتناع عن الهذَر، أو التفكه دون جدوى. أصمت، وأروي بقية القصة لنفسي :

ابتدأنا في مجادلة حادة. أنت مغرورة وكئيبة مثل النسوة العجائز. أقول له أنت رديء وسيء مثلهم جميعا. لماذا أنت مثلهم ؟ يجيبني : أنت معقدة لا تجيدين الحديث الا عن هذه الانشوطة الوهمية التي تلتف حول عنقك، وكأنك سوف تصبحين شهيدة في اللحظة التالية. حسنا، اني كذلك، وماذا تريد اكثر من هذا ؟ انت بطل وشجاع تتقدم الى البزاقة بكل بساطة، وتلطمها فتسقط عن جسدي. وأنا ؟ أنا ماذا أقول ؟ أنت صديقي وعلينا ان لانتخانق.

يفتح الزجاجة الصغيرة ويسكب لي منها الكأس الذي أحضرته من المطبخ. اكره الطعم اللاذع، أمُجُّه الى ان يضع فوقه قليلا من البيبسي كولا. دائما هي البيبسي كولا التي تحسن طعوم الاشياء في النهاية. لكنه، البطل الشجاع، يحتاج مثلي إلى جرعة من البيبسي كولا مع الويسكي اللاذع الطعم. شراب بلون الشمس في آخر الليل، والحباحب الصغيرة تطفو فوقه صاعدة الى السطح فيصبح لونه شبيها بالتراب. فتاة معقدة كما تقول، وأنت الصديق الذي علي أن أحبه. أليس كذلك ؟ ومن الذي يعين فتاة ضعيفة على التخلص من البزاقة ان لم يكن شهما وشجاعا مثلك. ها ! قبل دخولنا قطفت وردةَ فل صغيرة من الحديقة، وأعطيتني إياها فشكلتها فوق شعري بدَبّوس معدني، رغم أن شعري القصير كشعور الفتية لا يتشبث بأزهار الفل طويلا. لهذا فسأنسى كل شي وأبدأ من جديد مرة أخرى. لا أنا أعرفك ولا أنت تعرفني. نبدأ سوية مرة أخرى من النقطة التي ابتدأ بها العالم. نحاول. بلى. ليس ثمة حل آخر. تختبيء زهرة الفل في شعري، وانا اختبيء داخل جسده الممتد فوقي. الغثيان ! أشعر به يفور داخل معدتي المبطنة بأعشاب البحر، وأحاول أن أقاوم. بلى، يجب أن أقاوم، فالغثيان إحساس مرهق ورديء، ولا يناسب من كان له شعر الصبيان مثلي. وماذا أفعل ؟ هل أبكي كما يفعلون في الافلام المصرية.. جسد ثقيل يتمترس فوق جلدي، وناكر ونكير

الملائكيان يستجوبان صاحب الرخامة البيضاء الملطخة ببقع سود داكنة. وفي الاعلى تمر سحابة شفافة لها لون الدخان في ظهيرة يوم قائظ. الجسد ؟ هل هذا هو الجسد ؟ كان ذاك هو الليل، والنهار يختفي خلف خلاياي المشبعة برائحة البن المنسكبة من ثقوب بشرته المنفتحة، ودائرة من الغثيان تمتد بلزوجة وكثافة فوق صدري. وهو ! الرجل القادر العظيم فوق. اخرْمشه باظافري وأدفعه عني هاربة الى الغرفة الاخرى. لو استطعت أن أفهم فسأعود له وحدي. رجل بطل وقوي ولكنه يائس من امكانية التفاهم مع فتاة مثلي. وفي الغرفة الاخرى، لوحاته الساكنة على الجدار، ترمقني بفضول وحيادية باردة. صور أقاربه الفضوليين والاشاعات تندلع من أنيابهم الطويلة التي تشبه دراكولا. تتسمر على الحائط، ومن داخلها تنبعث نقرات طبول رتيبة، موزونة وبطيئة تعلن عن وجود عدو غامض داخل أشجار الغابة الاستوائية. وأنا ؟ لماذا أنا هنا ؟

والليل. الليل في الخارج لا يعرفني، لا يحس بي. لا يدرك اني هنا رائحة التربنتين، والبويا، وعبق الكولا بالويسكي تتقلب داخل احشائي. ضربات الطبول تقرع مع دقات قلبي متصاعدة الى دماغي. وتحت قدمي، على الارض زهرة فل ذابلة، مجعدة. أحاول أن أرفع قدمي عن الزهرة البيضاء الجاثمة قربي، ولكن ثقلا صمغيا يجذبها الى الاسفل. أمد قدمي الى الارض فتهتز منسحبة الى الوراء. تتركني وحدي وكأنها لا تحتمل الثقل الذي يجثم فوقي. الشاهدان يسألانني وانا وحدي تحت البلاطة الرخامية المبقعة بلطخات سود. أحاول التملص فأخفق لأن لخفيف أجنحتهما صوتا موزونا موقعا كضربات الطبول الافريقية.

لا. هذا كثير. لا يمكن. حرقة الشراب اللعين، والصحو يبدأ في التغلغل الى جسدي مع حبات العرق المتذرذرة من مساماتي. أحمل زجاجة البيبسي الفارغة. التواءاتها الحلزونية تحلل استدارة فوهتها المتجهة الى الاعلى، أضربها على الجدار فتتفتت الى شظايا مسننة حادة. أسحب طرف الزجاجة السكين، وأبدأ في تشطيب شرايين رسغي الايسر بها. مهلا، هكذا أفضل. قطرة، ثم قطرتان، ثم قطرات كثيرة وتنتهي جميع الاشياء دفعة واحدة.

لا. لماذا أتابع رواية القصة لنفسي والنهاية معروفة سلفاً انه لا يريدني أن أتم الحديث كي لا يدري. لم لا يدري ؟ هل لأنه الحبيب الذي لا يريد ان يصير مسبحة كهرمانية، قادمة مع قوافل الحجاج المحملة بالطيب، والند، والتمور الحجازية ؟

جرس طويل آخر. قطع. يقوم الى الباب الخارجي كي يفتحه. لا صوت، يبدو أنهم ذهبوا. وينكسر صمت الغرفة بمقبض الباب الذي يتحرك قبل أن يطل منه وجهه الباسم قائلا : ذهبوا. لابد انهم ظنوا اني لست هنا. ألحقهم بعد قليل فما زال النهار في أوله. ونعود الى البطانية السوداء التي بلون الفحم. فأحكي له عن مشاحناتي مع من كان صديقي. قصة موضوعية وهادئة عن العلاقة التي جرحت رسغي، وخلفت فيه ندوبا شفافة واضحة حتى

الآن. أقفز عن مشهد العناق، وعن البساط الصوفي الذي كنا نتمدد فوقه على الارض. وألخص له الموضوع بجملة واحدة : أنا لا أحب الجنس. أنا أحب الحب وحده فقط.

تختفي الظلال الداكنة من عينيه الجذلتين وهو يضحك من الطريقة التي أعبر بها عن مشاعري. طبعا، هكذا كان يجب أن أحكي من البداية. ألم تحك حواء هكذا مع سيدنا آدم بعد أن طردا من الجنة ؟ ألم يتزوجا كي تكفر حواء عن ذنبها لانها افتتنت بالحية، ولم تعط نفسها دقيقة أخرى من التفكير الرائق ؟ المهم انهما تزوجا. والزواج مثالي وعظيم، رغم انه هو الاخر حبات كهرمانية من عقد مسبحة طويلة لا تنتهي. كنس ومسح وجلي، وحبات ازيلا مع جزر يسبح داخل الاناء الذي يغلي منذ نزلا الى الارض.

ولكني الآن في الفراش. لا أمتلك الجرأة على النوم ثانية بعد أن صارت الشمس في وسط السماء، ولا أقدر على النهوض السريع قفزا وراء النهار، والصحو ذي اللون الساطع. النهار ! نافورة ماء مضيئة يشمونها نبع الاماني، فاذا لم اكن سأرى ما أتمناه هذا النهار أو ألقاه، فلماذا أقفز من فراشي ؟

الشمس تجوس بخيوطها البرتقالية على جدار الغرفة. وأنا مرتخية أطالع البومة بنظرة مندهشة وكأني اراها للمرة الاولى. حب من اللحظة الاولى كما قال الشاعر. نظرة فكلام وسلام ولا أذكر بقية البيت الموزون ببراعة فائقة. غرتها البنية تنسدل في شبه مثلث بين جبهتها وأنفها، وعيناها الخضراوان واسعتان الى درجة فظيعة، تشطبهما من الداخل شرطتان بنيتان داكنتان تعطيانها ملامح الطفل الازعر الذي يناكفك في كل لحظة. وهي تطير من شجرة الى شجرة باحثة عمن يقول لها صباح الخير، لانها تعرف اني لن أقولها لها وأنا أضحك بداخلي لاني اشتريتها كي اتحدى مخاوفي من فكرة الشؤم المقترنة بها. السقف الغرفة يتقوس مثل احدى نبتات الفُطْر، وحزوز الضوء البرتقالية تتمايل عليه في مقاطع هندسية، تترجرج مثل بركة من الضوء الذهبي. وأنا اكمن داخل هذا كله، متشربة بقايا ليلة الامس، وأعقاب السجائر التي امتلأت بها الكأس الفارغة على الطاولة. كانت هناك مناسبة ما، وكان ناس كثيرون يتحادثون بين رنات الكؤوس ورائحة الماندرين المشبعة بزهر البرتقال والمشروب اللاذع. البومة تصوصيء حدي مذكرة اياي بصداع الامس. تغير نبرتها الصامتة وتنبهني الى ضرورة القيام ومغادرة الفراش، حيث لا متعة تقاوم الدفء المستكين حول أطرافي. أسمع صوت الماء الجاري من الحنفية في الحمام. يدق الجرس فلا أقوم كي أفتح الباب، وهو بداخل الحمام الذي لازال مغلقا. يصمت الجرس، لحظة. أبعد اللحاف عني وأبقى متكومة على جانب الفراش، ثم أسحب غطاء القميص الابيض عن ساعدي، وأتأمل الزغب الخفيف المنثور على البشَرة التي بهت لونها منذ الصيف الماضي. أمد يدي كي أجذب اللحاف، فأرى النَّدَبَة محفورة على بَشَرة الرُّسْغ الرقيقة كتيموجات خطوط بيضاء خلفتها الرمال الناعمة على ساحل

أملس، طري وشفاف. منذ متى ؟ عدت لا اذكر منذ متى ؟ تذكرت. تلمع اسوارتي، ينعكس النور بين خروم الاولى الفضية، وينزلق عن نقوش المربعات فوق الحلقة الثانية. بوق سيارة يلتف حول اكرة النافذة المغلقة. أجفل ولا أعود قادرة على التذكر. بيب تيت، بيب. ومئات السيارات تجاوب في انحباس عجقة السير الصباحية. يوم جميل على أية حال. لا عمل، ولا هرولة على جانبي الرصيف بين الزعقات والصرخات، والشتائم المنطلقة من هنا أو هناك. لا وظائف، ولا طي ثياب أو نشرها على الحبل بمحاذاة الفيرندا. تراودني رائحة القهوة الساخنة فلا أقوم كي أصنعها لانه سيتركها في الركوة ذاهبا الى حيث ينتظره ناس كثيرون، كلم يحدث في الصباح دائما.

أرتخي على الشرشف الاخضر المخطط بالابيض، وأنظر الى أزرار قميص النوم الصدفية على الرقبة. أفتحها وأخرج نهدي الى الهواء والنور، وألاحظ كم هو فاتح لون الْحَلَمَة. بياض وردي مرشوم بنمشات صغيرة سوداء يذكرني بشيء غريب ملتبس بين الفتيات والامهات. الحَلَمَة ! يا للكلمة البغيضة. أف ! انها تذكرني بالمرضعات تواً. كلمة بغيضة ممنوعة من الصرف، والتداول أو الاستعمال. هم علمونا هكذا. من هم ؟ الذين علمونا الاحرف الأبجدية. الاهل. الاقارب. الاعمام. الخالات. الاصدقاء، وأصدقاء الاصدقاء. حتى أحرف الابجدية ذاتها تعلمنا أن نقرأها بطريقتين. من البطن الى الظهر، ومن الظهر الى القلب، أتمم الحروف التي تعلمناها : ألف، أطفال. باء، بازيلاء، جيم، جزر، ثاء، ثورة، ميم، مستمرة.

تصمت زمامير السيارات، ويعم هدوء ساكن غير معتاد. السير تحول اذن، هكذا كان يجب أن تمضي الامور من البداية. وفي الهدوء تلتمع أزرار الصدف البيضاء على الجانب الايسر من فتحة القميص. وبراحة واسترخاء استلقي وكأني لم أعرف يوما متعة الا سترخاء في الصمت. وحدي، وجسدي في الهواء والنور المشمس المنقوش على جدران الغرفة. وهناك على الطاولة بومة تتلكأ في النهوض أمام بقايا الكأس الفارغة الطافحة بأعقاب السجائر المطفأة.

يخرج من الحمام. أطوي ساقي وأسحب اللحاف مغطية كل جسمي، وأتابع إغماض عيني. كتلة دافئة تختفي داخل قميص النوم الابيض أمام لذعات البرودة الخفية، المتجهة في خطوط بيضاء من شقّ زجاج النافذة. أسحب الطاقية عن سقف الغرفة فتعود الى وضعها الطبيعي، وتكف عن ان تكون نبتة فُطْر وأقدف بحبات الكهرمان على الارض ناسية من أنا ومن اكون ؟ يوقظني ويسأل :

لماذا أحب أن أبقى بينّ اليقظة والمنام ؟

أفتح عيني وأسأله : لماذا تبقى البومة جامدة في مكانها ولا تبحث عمن يقول لها صباح الخير فوق الاشجار ؟

ـــ الاشجـار ؟

يسأل ونبض الاستغراب يدق بجدية في زاويتي عينيه. لحظه ثم تنمحي الانطباعات الاولى عن ملامحه عندما يبدأ في الادراك. أقول :

ـــ الاشجار طبعا. لماذا لا تجد من يكلمها فوق الاشجار الاستوائية ؟

التوي وأشد قدمي الى الامام، فيصبح جسدي مثل نصف هلال وأنا أكلمه بالحاح :

ـــ انها تريد الاشجار.

يندفع راجعا من الباب الذي كان متجهاً اليه، يُمْسك وجهي بكفيه ضاحكا وهو يقلدني :

أنت تريدين الاشجار
أنت تريدين الاشجار

أُبهت لاكتشافه وجه المطابقة. اندفع في الهذَر الى النهاية وأنا أقول :
أنا أريد النهار.
أنا أريد النهار.

شباط 81 ليانة بدر